

شرح حديث أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي

قال المصنف رحمة الله: حدثنا يحيى بن بکير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب... عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: { أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حب إلى الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فتحنث فيه - وهو التعبد- الليلالي ذوات العدد قبل أن ينزل إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: أقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: أقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: أقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: { أقرأ يا سُمْ رَبِّكَ الَّذِي حَلَقَ حَلْقَ إِسْلَامٍ مِّنْ عَلَقٍ أَفْرَا وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ } . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت له خديجة كلا والله ما يحزنك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكتب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نواب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزيز ابن عم خديجة وكان امراً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيئاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذع، ليتني كنت حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عدو، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينسب ورقة أن توفى وفتر الوحي } . هذا حديث عن عائشة رضي الله عنها، وهي ما أدركته؛ ولكن حدثها به النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت أولاً: أنه أول ما بدأ به الرؤيا الصادقة، الرؤيا في المنام، بحيث إنه يرى الرؤيا فإذا رأى رؤيا وأصبح تحقق تلك الرؤيا مثل فلق الصبح؛ بمعنى أنها تصير حقيقة، وقد قيل: إنه يقى كذلك نصف سنة وهو يرى أحلاماً فتحقق؛ يراها في المنام، يرى أنه يحدث مرض فيحدث، يرى أنه ينشأ سحاب -مثلاً- في النوم فيقع ذلك حقيقة، وكذلك يرى في النوم -مثلاً- أنه يقال له كذا فيحدث كما رأى. وتسمى الرؤيا المبشرات، في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { لم يبق من النبوة إلا المبشرات؛ الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له } . وفسر بذلك قول الله تعالى: { أَلَا إِنَّ أُولَيَاءَ اللَّهِ لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَسْأَلُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى } . فسرت البشري بأنها الرؤيا الصالحة، وجاء في الحديث: { الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان } . الرؤيا التي يراها المسلم أو ترى له، ويدل وقوعها على أنها من الله، فهذه من المبشرات، وجاء في الحديث: { الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة } . والحائل أنه بدأ بهذه الرؤيا، وهي من مقدمات الوحي.